بسم الله الرحمن الرحيم

** الشبه خطافة ..

(لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها)

عجيب أن بعض الناس صارت قلوبهم مقرا للشبهات في العلم والعمل(؟!)، بعدما كانوا يميزون بين ما هو صواب وما هو زلل(؟!)، والسر في ذلك – أصالة - الزهادة في الاشتغال بالعلم بله التحقيق والتدقيق وطلب الأثر(؟!)، " فإن العلم لا يتأتى إلا بالعناية والمباحثة والملازمة، مع هداية الله وتوفيقه "1 و مجالسة أهل العلم والنظر2.

فالباطل (المحض) لا شك أن الفطرة السوية تنفر منه، أما الباطل (المشوب بشيء من الحق)! فإنه يروج على كثير من الناس " فلا يكاد يوجد حق لا يمكن أن يحاول مبطل بناء (شبهة) عليه " 3.

فالواجب على المرء الكشف عن الحقائق، والنظر فيما وراء

الألفاظ، وكشف الغطاء عن الزينة التي وضعت على الضلالات وألبستها لباس الحق بهتانا وزورا، وذلك بأن " يسعى في (التمييز) بين معدن الحجج، ومعدن الشبهات، فإنه إذا تم له ذلك هان عليه الخطب، فإنه لا يأتيه من معدن الحق إلا الحق، فلا يحتاج إن كان راغبا في الحق قانعا به إلى الإعراض عن شيء جاء من معدن الحق، ولا إلى أن يتعرض لشيء جاء من معدن الشبهات، لكن أهل الأهواء قد حاولوا التشبيه والتمويه، فالواجب على الراغب في الحق ألا ينظر إلى ما يجيئه من معدن الحق من وراء (زجاجاتهم الملونة)؟!، بل ينظر إليه كما ينظر إليه أهل الحق" 4.

وعليه فلا تترك الحق لكل شبهة يوردها (مشكك)!، أو (متأول)!، أو (قليل العلم)! فإنه " يبعد في مجاري العادات أن يبتدع أحد بدعة من غير شبهة دليل يقدح له، بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي "5.

قال الإمام سفيان الثوري - رحمه الله -:" ما من ضلالة إلا عليها (زينة) فلا تعرض دينك لمن يبغضه إليك "6.

فهذا الباطل المشوب بالحق هو الذي يسمى (شبهة)؟!، وهو الذي إذا استحوذ على ذهن ونظر العبد صرفه عن تلمح الباطل الملبس بهذا الحق، فإن " الباطل لا يظهر لكثير من الناس أنه باطل لما فيه من شبهة" 7، فـ" الشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له "8، ولذلك ما سميت الشبهة شبهة إلا " لاشتباه

الحق بالباطل فإنها تلبس ثوب الحق على جسم باطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها"! 9.

واعلم - يا رعاك الله - أن الشبهات أوجبت (فساد العلم والاعتقاد) كما قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:" الفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب (فساد القصد والإرادة)!، والثانية توجب (فساد العلم والاعتقاد)!" 10.

وقد أثر عن الإمام سفيان الثوري - رحمه الله - قوله :" من سمع ببدعة (فلا يحكها لجلسائه)؟!، ولا يلقها في قلوبهم"

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - معلقا:" أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون (القلوب ضعيفة والشبه خطافة)؟! " 11.

وإذا أقبلت الشبهات والهنات فعليك بـ (التؤدة) و(احذر الاستعجال) فإن "العجلة أم الندامات"؟! كما قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - :" إنها ستكون هنَات 12 وأمور متشابهات فعليكم بالتؤدة، فـ (إن الرجل يكون تابعا في الخير خير له من أن يكون رأسا في الضلالة)؟! "13.

ولم يعرج هذا الصحابي الجليل على ذكر (الشهوات) لعظم شأن (الشبهات) فإن "جنس" هذه الأخيرة أقتل للقلب وأصعب، كما أنه لم تكن الشهوات متفشية بينهم آنداك، فالناس في حالة من الاقتصاد والتعفف عن ملذات الدنيا والتوسعة فيها، والقناعة بما رزق الله.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:" القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات هذا (أصل) داء الخلق إلا من عافاه الله، وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه: أما مرض الشبهات وهو (أصعبها وأقتلها للقلب) ففي قوله تعالى في حق المنافقين:(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا).. " 14.

وليعلم أن " (الزائغ) المتبع لما تشابه من الدليل لا يزال في ريب وشك، إذ المتشابه لا يعطي بيانا شافيا، ولا يقف منه متبعه على حقيقة، فاتباع الهوى يلجئه إلى التمسك به، والنظر فيه لا يتخلص له، (فهو على شك أبدا)" 15.

قال الأصبهاني - رحمه الله -:" لا ترى أحدا مال إلى هوى أو بدعة إلا وجدته (متحيرا ميت القلب ممنوعا من النطق بالحق) " 16.

فالحذر الحذر من الشبهات فإن (تفريغ) القلب لها مع (الاسترسال) ضلال، بل في كثير من الأحايين يبقى أثرها في

الصدور بعد التخلي عنها وذاك وبال، كما قال العلامة ابن العربي المعافري - رحمه الله - :" شيخنا أبو حامد (بَلَعَ) الفلاسفة وأراد أن (يتقيأهم) فما استطاع " 17.

" فلا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل (السفنجة)، فيتشربها فلا ينضح إلا بها 18، ولكن اجعله كـ (الزجاجة) المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها (فيراها بصفائه) و(يدفعها بصلابته)، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار (مقرا) للشبهات " 19.

فالله (يمتحن) عباده ببعض المتشابه ليميز الخبيث من الطيب، و(يمتحن) قلوب المؤمنين بما يعرض من الإشكالات ، ولذا فـ "وجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفوا، وإنما هو أمر مقصود شرعا (ليبلو الله تعالى ما في النفوس، ويمتحن ما في الصدور، وييسر للعلماء أبوابا من الجهاد العلمي، ويرفعهم الله به درجات)" 20.

و"القاعدة" عند المتشابهات (ردها) إلى المحكمات كما قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ).

قال العلامة السعدي - رحمه الله -:" وأما الراسخون في العلم فالسبب في استقامتهم: (رسوخهم) في العلم في كماله وتحقيقه وإيمانهم الصحيح... فيردون المتشابه المحتمل للوجهين إلى المحكم الواضح (فيصير الجميع محكما) ويزول الاشتباه إذا رد المتشابه إلى المحكم "21.

كما أن (الواجب) عند اشتباه الأمر في العلم والعمل مع عدم ظهور وجه الصواب: (التوقي والاجتناب)؟!، ومن نفيس ما نُقل في هذا الصدد ما أثر عن الإمام سفيان الثوري - رحمه الله - حيث قال:" يقتدى بعمر في الجماعة، (وبابنه في الفرقة)؟!" 22.

فاحذر - رحمك الله - داء الشبهات، - خاصة في المسائل المنهجية(؟!) – فإنها تشويش للفكر والتصورات، وطريق للخطأ والزلات، واحرص على دفعها بـ (العلم والتحقيقات)؟!، هذا بعد سؤال التوفيق من رب الأرض والسماوات، فتسلك – بذلك – المسلك الصواب والطرائق النيرات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في المحرمات.

....

. 1. النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني - رحمه الله - 5/1

2. يقول العلامة الشاطبي - رحمه الله -:" فكم من مسألة يقرؤها

المتعلم في كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم (فهمها بغتة)؟!، وحصل له العلم بها بـ (الحضرة)؟!، وهذا الفهم يحصل إما بـ (أمر عادي) من قرائن أحوال، وإيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم ببال، وقد يحصل بأمر (غير معتاد)؟!، ولكن بأمر (يهبه) الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم، ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يلقى إليه" الموافقات 145/1 تحقيق الشيخ مشهور حسن – حفظه الله -.

. 3. الأنوار الكاشفة للعلامة المعلمي اليماني - رحمه الله- 299
. 4. التنكيل للعلامة المعلمي - رحمه الله - 217/2
. 5. الاعتصام للعلامة الشاطبي - رحمه الله - 136/2
. 6. الحجة في بيان المحجة 484/2
. 7. درء التعارض 170/7_171
. 8. مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم -رحمه الله- 140/1
. 9. المصدر نفسه 441/1
. 10. إغاثة اللهفان 15
. 11. السير 261/7
. 12. الهنات: هي: "الشرور والفساد يقال في فلان هنات أي: خصال شر" النهاية في غريب الحديث 279/5
. 13. شعب الإيمان 297/7، وكنز العمال 1231/3
. 14. مفتاح دار السعادة367/1
. 15. الاعتصام 237/2
. 16. الحجة في بيان المحجة 431/1
. 17. السير 327/19

18. قال الحارث المحاسبي - رحمه الله -:" واعلم أن أنجى طريق للعبد: العمل بالعلم، والتحرز بالخوف، والغنى بالله عز وجل، فاشتغل بإصلاح حالك، وافتقر إلى ربك، و(تنزه عن الشبهات).." رسالة المسترشدين 191.
19. من وصايا الإمام ابن تيمية - رحمه الله - لتلميذه الإمام ابن القيم - رحمه الله -، انظر مفتاح دار السعادة 441/1، وعلق عليها الإمام ابن القيم - رحمه الله - قائلا:" فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك ".
. 20. الأنوار الكاشفة 223
. 21. مجموع الفوائد للعلامة السعدي -رحمه الله- 123
" 22. نقله الإمام الذهبي - رحمه الله - في تذكرة الحفاظ 32/1، وقد استهله - رحمه الله - بقوله :" وما أحسن قول سفيان الثوري

كتبه:
أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني - عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي -